مدخل إلى رسالة فيليبّي

كانت مدينة فيليبّي تقع في مقدونيا شمال اليونان، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى فيليب الثّاني ملك مقدونيا والد الإسكندر الأكبر. وغزاها الرّومان بعد عصر الإسكندر الأكبر بسنوات عديدة واستوطنوها بعد سنة 30 قبل الميلاد، وظلّت الثّقافة اليونانيّة سائدة رغم حكم الرّومان. وبرزت هذه المدينة عندما أنشأَ الرّومان الطريقَ الإغناطي الذي يصل بين شرق الإمبراطوريّة والموانئ البحريّة على السّاحل الغربيِ لليونان. وكانت غنيّة بمناجم الذّهب والفضّة القريبة منها.

ومثّلت جماعة المؤمنين بالسيّد المسيح في فيليبّي أوّل جماعة أسّسها الحواري بولس في أوروبا. ووردت إشارة إلى الأحداث التي ساعدت على تأسيس الجماعة حوالي سنة 50 بعد الميلاد في سيرة الحواريّين 16: 9-40. ووصل الحواري بولس صحبة رفاق عمله سلواني وتيموتاوي ولوقا إلى مدينة فيليبّي في رحلته الثّانية للدّعوة، مرورًا بالمنطقة التي تُعرف بتركيا اليوم. وفي ميناء تَرْواس رأى بولس رؤيا مفادها أنّ السيّد المسيح (سلامه علينا) يأمرُه بنشر الرّسالة في مقدونيا (انظر سيرة الحواريّين 16: 9).

وعندما شرع بولس ورفاقه في نشر رسالة السيّد المسيح في فيليبّي، آمن عدد كبير من الناس به (سلامه علينا)، ولكنّ بعضهم وقفوا ضدّه وطالبوا بسجنه، وهذا ما حصل فعلاً. ولكن في النّهاية أُطلق سراحُه واضطُرّ إلى مغادرة المدينة. وزار بولس فيليبّي مرّة أخرى في رحلته الدّعوية الثّالثة، وفيها قوّى إيمان المؤمنين، وتعلّق به مؤمنو فيليبّي تعلّقًا كبيرًا، لذلك أرسلوا إليه رجلا يدعى زهرائي ليعتني به ويأتيهم بأخباره عندما كان في السّجن (انظر رسالة فيليبّي 2: 25).

يبدو أنّ بولس قد كتب هذه الرّسالة عندما كان معتقلاً، وكانت تهمته الدّعوة إلى رسالة السّيد المسيح (فيليبّي 1: 7)، لكنّ بولس كان يجهل إن كان سيحكم عليه بالإعدام (فيليبّي 1: 20؛ 2: 17). لذلك يعتقد بعض المفسّرين أنّ الرّسالة كُتبت في السّجن في أفاسوس في الفترة التي تمتدّ من السنة 54

إلى السنة 57 للميلاد. واعتقد غيرهم من المفسرّين أنّ حادثة السّجن وقعت في مدينة قيصريّة في الفترة الممتدّة من السنة 58 إلى السنة 60 للميلاد. وعلى كل حال، فإنّه من المرجّح أنّ روما هي المكان الذي كُتبت فيه هذه الرّسالة حوالي السنة 60 إلى السنة 63 للميلاد، حيث كان بولس يقيم تحت الإقامة الجبريّة (انظر سيرة الحواريّين 28: 16؛ 30-31).

وأراد بولس في بداية هذه الرّسالة أن يقدّم شكره إلى المؤمنين في مدينة فيليبّي (فيليبّي 1:5؛ 4: 10-19). وأخبر فيها أيضًا عن أحواله (فيليبّي 1: 12-26؛ 4: 10-19)، وأمر المؤمنين أن يتشبّثوا بإيمانهم بالسيّد المسيح (سلامه علينا)، سعداء مهما كانت الظّروف (فيليبّي 1: 27-30؛ 4:4). وحثّهم أيضًا على التّماسك والوحدة والتواضع في ما بينهم (فيليبّي 2: 1-11؛ 4: 2-5).

كما حذّرهم من الذين يَدّعون تعليم صراط السيّد المسيح، في حين أنّ ما يُعَلِّمونه باطل (فيليبّي 3: 1-21). ومدح بولس أيضًا تيموتاوي وزهرائي (فيليبّي 2: 19-30)، وحثّ المؤمنين أن يتّخذوه قدوة لهم في الإيمان.

وكان بولس سعيدًا رغم توقّعه الحكم بالإعدام لمّا كان في السّجن، لأنّ مولاه السيّد المسيح كان إلى جانبه (فيليبّي 2: 17-18).

رسالة الحَواريّ بولُس
إلى أحباب الله في فيليبّي

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس
إلى أحباب الله في فيليبّي

1

الفصل الأوّل

تحيّة

[1] هذه الرِّسالةُ مِن بولسَ وتيموتاوي خادِمَيْ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وهي مُوَجَّهةٌ إلى جَميعِ عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ في مَدينةِ فيليبّي، أي أتباعِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وإلى المَشايخِ المُشرِفينَ والمُساعِدينَ.[(١)] [2] السَّلامُ عليكُم والرَّحمةُ مِنَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ ومِن سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

الدّعاء

[3] أمّا بَعدُ، إخوتي في الإيمانِ، فكُلّما ذَكَرتُكم أشكرُ اللهَ [4] ويَغمُرُني الفَرَحُ عِندَما أدعو لكُم جَميعًا، [5] فلقد كُنتُم لي شُرَكاءَ بِأموالِكُم وأنفُسِكُم في نَشرِ البُشرى بِسَيِّدِنا عيسى مِن أوّلِ يومٍ فيهِ آمَنتُم بِها إلى يَومِنا هذا. [6] إنّ اللهَ بادَرَ وأنعَمَ عليكُم حَتّى تَقوموا بِهذا العَمَلِ الصّالِحِ، وإنّي على يَقينٍ أنّهُ سيَستَمِرُّ في ذلِكَ إلى اليومِ الّذي يَتَجَلّى فيهِ سَيِّدُنا عيسى المَسيحُ.

[(١)] المشرفون أو المشايخ هم كبار قادة كلّ جماعة من أتباع السيد المسيح (سلامه علينا)، أمّا المساعدون أو المدبّرون فيسهرون على تلبية الاحتياجات للمؤمنين، كتوزيع الطعام والمال على الفقراء.

[7] ويَحِقّ لي أن أتَمَتَّعَ بهذا الشُّعورِ، لأنّ مَكانَتَكُم مَحفوظةٌ في قَلبي. إنّي الآنَ مُقَيَّدٌ في السِّجنِ وسأُدافِع عن نَفسي وأُبَيِّنُ أمامَ المَحكَمةِ أنّ رِسالةَ سَيِّدِنا عيسى هي الحقُّ. وإنّكُم شُرَكائي تَستَمتِعونَ مَعي بِفَضلِ اللهِ، لأنّكُم تُساعِدونَني في مِحنَتي وفي الدَّعوةِ إلى البُشرى بِهِ (سلامُهُ علينا). [8] اللهُ يَشهَدُ أنّ شَوقي كَبيرٌ إليكُم جَميعًا، وهذا الشَّوقُ نابِعٌ مِن حَنانِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ عليكُم.

[9] وإنّي أدعو اللهَ أن تَقوى مَحبّتُكُم بَعضِكُم لبَعضٍ، ومَعَها يَتَعَمَّقُ عِلمُكُم بِاللهِ وفَهمُكُم لهُ، [10] وهكذا يَتَوَضَّحُ لكُم طَريقُ الرَّشادِ فتَكونونَ طاهِرينَ خالينَ مِن الشَّوائبِ إلى اليومِ الّذي يَتَجَلّى فيهِ سَيِّدُنا المَسيحُ، [11] وأرجو أن تَمتَلِئَ حَياتُكم بِالخَيرِ النّابِعِ مِن مَرضاةِ اللهِ بِفَضلِهِ (سلامُهُ علينا)، لأنّ فِعلَ الخَيرِ يَكشِفُ لِلنّاسِ طَريقَ اللهِ فيُسَبِّحونَهُ ويَحمَدونَهُ.

انتشار الرّسالة

[12] إخوتي في اللهِ، أُريدُ لكُم أن تَعلَموا أنّ الأحوالَ المَريرةَ الّتي مَرَرتُ بها، ساعَدَت في الحَقيقةِ على انتِشارِ البُشرى بِهِ (سلامُهُ علينا)، [13] فالحَرَسُ المَلَكيُّ كُلُّهُ وعامّةُ النّاسِ هُنا يَعرِفونَ أنّي سَجينٌ في سَبيلِ السَّيِّدِ المَسيحِ. [14] ولقد رأى الإخوةُ المؤمِنونَ بِهِ (سلامُهُ علينا) كَيفَ كانَ اللهُ يَدعَمُني رَغمَ وجودي في السِّجنِ، فاشتَدَّتْ عَزيمَتُهم لِنَشرِ الرِّسالةِ بِكُلِّ جُرأةٍ دونَ خَوفٍ.

[15] إنّ بَعضَ المؤمنينَ كانوا يَدعُونَ إلى الإيمانِ بِالسَّيِّدِ المَسيحِ بِدافِعِ المُنافَسةِ والحَسَدِ، ولكِنّ بَعضَهُم الآخَر كانوا يَدعونَ إليهِ بِسَعةِ صَدرٍ، [16] بِدافِعِ مَحبّتِهم لي، وهُم يَعلَمونَ أنّ اللهَ أقامَني لأدافِعَ عن حَقيقةِ البُشرى بسَيِّدِنا أمامَ السُّلطاتِ، [17] أمّا أولئِكَ الحاسِدونَ، فيُنادونَ بِالسَّيِّدِ المَسيحِ بِدافِعِ المُنافَسةِ وإعلاءِ شأنِهِم، لا بدافِعِ إخلاصِهِم، وإنّما سَعيهُم هو مُضاعفةُ مُعاناتي في السِّجنِ. [18] إلاّ أنّي لا أُبالي، طالَما تَتِمُّ الدَّعوةُ إلى السَّيِّدِ المَسيحِ مَهما تَكُن الطُّرُق، سَواءٌ كانَت بِدافِعِ التَّظاهُرِ والرِّياءِ أم بِدافِعِ الإخلاصِ والوَفاءِ. إنّي مَسرورٌ بِهذا، وسيَستَمِرّ فَرَحي وسُروري، [19] لأنّي على يَقينٍ أنّهُ سيَتِمُّ إطلاقُ سَراحي بِفَضلِ دُعائِكم لي وبِمَعونةِ رُوحِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

20 إنّ ما أرجوه وأنتَظِرُه مِن اللهِ هو ألاّ يَخيبَ أملي أبَدًا، بل سأظَلُّ جَريئًا دائمًا في حَديثي عن السَّيّدِ المَسيحِ وأسعى بِكُلِّ كِياني لِرَفعِ شأنِهِ (سلامُهُ علينا)، سَواءٌ عِشتُ أم مُتُّ. 21 إنّ حَياتي وَقْفٌ لِمَولاي المَسيحِ، فإنْ مُتُّ فيا لفَرَحي، لأنّي سأكونُ في حَضرتِهِ، 22 وإنْ بَقيتُ حيًّا بَينَكُم فسيَكونَ بإمكاني أن أقومَ بِأعمالٍ كَبيرةٍ مِن أجلِ مَولانا. تُرى، أيُّ الأمرينِ أحسَن خيارًا وأحسَن تَخْييرًا؟! 23 وإنّي في حَيرةٍ بَينَ أمريْنِ: فأنا في شَوقٍ لأن أموتَ لأنّي سأكونَ إلى جانِبِ السَّيّدِ المَسيحِ، وهذا أفضَلُ خَيارٍ بِالنِّسبةِ إليّ. 24 لكنّ بَقائي على قَيدِ الحَياةِ هو أشَدُّ ضَرورةً لكُم، لأنّي على يَقينٍ أنّكُم في حاجةٍ إليّ، 25 لِذلِكَ سأظَلُّ إلى جانِبِكُم جَميعًا لِكَي يَزداد رُسوخُكُم في الإيمانِ وسُرورُكُم بِهِ، 26 وعِندَما أزوركُم مَرّةً أُخرى يَزدادُ فَخرُكُم بِسَيّدِنا عيسى المَسيحِ لأنّي أصبَحتُ حُرًّا.

27 ومَهما حَصَلَ لي، تابِعوا واجِباتِكُم أيُّها المؤمِنونَ،[1] كَما يَليقُ ببُشرى سَيّدِنا المَسيحِ. فإذا حَلَلْتُ بَينَكُم وعايَنتُ أحوالَكُم، أو وَصَلَتْني أخبارُكُم في غَيابي، تأكّدتُ أنّكُم مُتَكاتِفونَ بِقَلبٍ واحِدٍ تُجاهِدونَ في سَبيلِ الإيمانِ بالبُشرى. 28 لا تَخافوا أبَدًا مِن الخُصومِ. إنّ في جُرأتِكُم هذِهِ دَليلاً واضِحًا لهُم على أنّ اللهَ سيُهْلِكُهم وسيُنَجّيكُم بفَضلِهِ تَعالى. 29 إنّ اللهَ قد أنعَمَ عليكُم بِشَرَفِ الألمِ الشَّديدِ في سَبيلِ الإيمانِ بِسَيّدِنا عيسى المَسيحِ، ولم يُنعِم عليكُم بالإيمانِ وَحدَهُ، 30 فأنتُم تَخوضونَ الآنَ المَعرَكةَ نَفسَها الّتي رَأيتُموني أخوضُها عِندَما كُنتُ بَينَكُم في مَدينةِ فيليبّي، ويَصِلُكُم أنّي ما زِلتُ على الحالةِ نَفسِها.[2]

---

[1] تصف عبارة "تابعوا واجباتكم" في اللغة اليونانية وفاء المواطن المقيم في دولة حرّة بالتزاماته المدنية. وقد كان اليهود يستخدمون مثل هذه العبارة للدلالة على طاعة شعبهم لشريعة الله (انظر سيرة الحواريين 23: 1).

[2] تعرض الحواري بولس للضرب المبرّح وأودع السجن عند دخوله فيليبّي أول مرة للدعوة (انظر سيرة الحواريين 16: 16-40).

2

الفصل الثّاني

التّواضع في السّيّد المسيح

[1] بما أنّكُم أصبَحتُم أقوياءَ بِانتِمائِكُم إلى السَّيّدِ المَسيحِ ومَحَبتُّهُ تُواسيكُم، وأنتُم مُتَوَحِّدونَ بِرُوحِ اللهِ، وقد حَلَّت الشَّفَقةُ والرَّحمةُ على قُلوبِكُم، [2] فاغمُروني بالفَرَحِ عِندَما أراكُم على وِفاقٍ، تُوَحِّدُكُم المَحَبّةُ في قَلبٍ واحِدٍ وهَدَفٍ واحِدٍ. [3] ولا تَتَنافُسوا مُتَحَزِّبينَ، ولا تَتَباهوا أمامَ النّاسِ، بَل تَواضَعوا بتَفضيلِ الآخَرينَ على أنفُسِكُم. [4] واسعَوا إلى ما فيهِ الخَيرُ لِلآخَرينَ، ولا تَسعوا إلى ما فيهِ خَيرُكُم فُرادى، [5] وكونوا على فِكرِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ:

[6] إنّهُ قائِمٌ مُنذُ الأزَلِ في ذاتِ اللهِ وُجودًا، ولم يَكُن إلى مُساواةِ اللهِ ساعيًا قَصودًا،[٣]

[7] بل تَرَكَ مَقامَهُ العالي، واتَّخَذَ مَكانةَ العَبدِ، وجاءَ إلينا في هَيئةِ إنسانٍ تَجسيدًا،

[8] وأطاعَ اللهَ بِذُلِّ ذَليلٍ حَتّى كانَ على صَليبِ المُجرِمينَ شاهِدًا مَشهودًا،[٤]

[9] فرَفَعَ اللهُ شأنَهُ عاليًا وجَعَلَ لهُ أعظَمَ الأسماءِ تَمجيدًا،

[10] لذلِكَ سَتَنحَني مَلائِكةُ السَّماءِ كُلِّها، وكُلُّ البَشَرِ على الأرضِ، وكُلُّ

---

[٣] يرى أغلب العلماء أنّ بولس اقتبس هذا المقطع 2: 6-11 من نشيد أو من عقيدة موجزة تعبّر عن الإيمان الذي انتشر في ذلك العصر، واستندوا في ذلك إلى بنية المقطع وأسلوبه. وشاعت الاقتباسات الشّعريّة عند الكتاب الإغريق في تلك الفترة، غير أنّ بعض العلماء يرون أنّ هذا المقطع من إبداع بولس نفسه.

[٤] طالب أتباع سيّدنا المسيح الأوائل بتفسير لمغزى موته على الصّليب، لأنّ الصّلب كان شكلا من أشكال الإعدام الأكثر تعبيرًا عن وضاعة المصلوب، ويُنفّذ فقط على المجرمين من غير الرّومان عبيدًا كانوا أو من بقية المنتمين إلى طبقات المجتمع الدّنيا. وقد كان اليهود يقدّرون الشّهداء كثيرا بسبب طاعتهم لله التي تصل حدَّ الموت. وفي هذا المقطع يوصف السيّد المسيح بالطّريقة نفسها بـ "عبد الله المخلص الأمين،" وهو أسلوب مقتبس من كتاب النّبي أشعيا (انظر الفصلين 52 و53).

الشَّياطينِ والجِنِّ في العالَمِ السُّفليِّ وسيَركَعونَ أمامَ سَيِّدِنا عيسى
11 ويُبايعونَهُ جَميعًا على المَلإ بِقَولِهِم: "إنّ عيسى المَسيحَ سَيِّدُ العالَمينَ"، تَمجيدًا للهِ الأبِ الرَّحيمِ.(٥)

تضيئون كالنّجوم

12 يا أحبابي، لقد أطَعتُموني دائمًا عِندَما كُنتُ بَينَكُم، فاحرِصوا على طاعتي عِندَ غَيابي، واصمُدوا في إيمانِكُم واتَّقوا اللهَ كَي تَفوزوا بِالنَّجاةِ في النِّهايةِ. 13 لأنّ اللهَ هو الّذي يُنشئُ فيكُمُ الإرادةَ والقُدرةَ على العَمَلِ لإرضائِهِ.(٦)
14 فاعمَلوا بِما أمَرَكُم بِهِ تَعالى دونَ تَذَمُّرٍ أو جِدالٍ،(٧) 15 حَتّى تَكونوا عِيالَ اللهِ نُزَهاءَ طاهِرينَ. فكَما تُنيرُ النُّجومُ ظَلامَ السَّماءِ، أنيروا بِأعمالِكُم بَينَ أهلِ الفَسادِ والضَّلالِ.(٨) 16 واعتَصِموا بِرِسالةِ الخُلدِ، حَتّى إذا تَجَلّى سَيِّدُنا المَسيحُ، أمكَنَني أن أفتَخِرَ أنّ سَعيي وتَعبي لم يَذهَبا هَباءً، 17 ولقد دَفَعَكُم إيمانُكُمُ القَويُّ إلى تَقديمِ أنفُسِكُم قَرابين للهِ، وخِدمتِهِ بِكُلِّ إخلاصٍ،

---

(٥) يلمّح الحواري بولس هنا إلى كتاب النّبي أشعيا 45: 23 الذي ذكر أن كلّ الأمم ستخضع لله في النّهاية. ويشير في ذلك إلى السيّد المسيح على اعتبار أنّه صفيُّ الله المختار، كما يقول إنّ الذين يكَرّمونه إنما يكَرّمون الله الذي اختاره، وسيكون من بين الرّاكعين، الملائكة "في السّماء"، إذ كان الوثنيّون اليونان يعبدون آلهة السّماء والأرض والبحر والعالم السفلي، وكانت أرواح الموتى حسب الأساطير اليونانيّة تقيم في العالم السفلي. لذلك يقول بولس إنّ جميع المخلوقات مهما كان نوعها ستعترف بسلطة السيّد المسيح الذي يفوق مقامُه كل مقام.

(٦) لا نجد نظيرًا في الكتابات التي تسبق زمن الإنجيل لفكرة الحواري بولس هنا بأنّ الله يُنشئ في المؤمنين الإرادة والعمل لأجل طاعته، باستثناء ما جاء في التّوراة والزّبور وغيرهما من كتب الأنبياء في إطار حديثها عن روح الله.

(٧) يشير الحواري بولس إلى معاملة بني يعقوب للنّبي موسى عليه السلام عندما كان في صحراء سيناء، حيث كانوا يتذمّرون ويشتكون باستمرار، وهو ما أدّى بهم إلى أن الله اعتبر أنّهم من غير أهل بيته بل هم جيل فاسد ضالّ (انظر التوراة، سفر التّثنية 32: 5). ويحثّ بولس سامعيه على اتّباع سلوك يخالف سلوك هؤلاء الضّالّين.

(٨) يستخدم بولس هنا صورة تشبه كثيرًا تلك الصورة التي استخدمها النبي دانيال عليه السلام عندما شبّه عباد الله الصالحين بالنجوم. (انظر كتاب دانيال 12: 3) ونجد صورًا مشابهة لذلك في الإنجيل أيضا، (انظر متى 5: 16 و13: 40-43).

فحَتّى إن سُفِكَ دَمي قُربانًا مِن أجلِكُم، فسأفرَحُ بِذلِكَ كَثيرًا، وسأفرَحُ أكثَر بِثَباتِ إيمانِكُم.[٩] 18 فافرَحوا لأنّي مُستَعِدٌ أن أُضَحّي بِحَياتي مِن أجلِكُم، واستَعِدّوا أنتُم بِدَورِكُم لِلتَّضحيةِ في سَبيلِ الآخَرينَ بِكُلِّ سُرورٍ.

الأخ تيموتاوي

19 وقَريبًا سأرسِلُ الأخَ تيموتاوي بِمَشيئةِ سَيِّدِنا عيسى، فيُريحُ قَلبي بالأخبارِ الّتي سيَحمِلُها عَنكُم، 20 فلا أحَدَ لي مِثلَهُ يُشارِكُني في مَشاغِلِ المُؤمِنينَ مُشارَكةً صادِقةً. 21 فالجَميعُ يَسعى إلى مَصلَحتِهِ الخاصّةِ، مُتَجاوزًا ما يَقصدُهُ سَيِّدُنا عيسى المَسيحُ. 22 أمّا تيموتاوي، فتَعرِفونَهُ وقد سَبَقَ لكُم أن امتَحَنتُم مَعدَنَهُ، وكانَ نِعمَ المُعينُ يُساعِدُني في الدَّعوةِ إلى سَيِّدِنا المَسيحِ كَما يُساعِدُ الابنُ أباهُ، 23 لِذلِكَ سأُرسِلُهُ إليكُم حالما أعرِفُ القَرارَ الّذي سيُصدِرُهُ القُضاةُ الرّومانُ في حَقّي،[١] 24 ومَولاي عيسى المَسيحُ جَعَلَني على ثِقةٍ أنّي سألقاكُم قَريبًا.[٢]

الأخ زهرائي

25 أمّا أخونا زَهرائي الّذي أرسَلتُموهُ إليّ فكانَ سَنَدي في ضِيقي فهو يُجاهِدُ إلى جانِبي كَمُعاوِنٍ ورَفيقٍ لي،[٣] ولكنّي رأيتُ أن يَعودَ إليكُم 26 لأنّهُ مُشتاقٌ إليكُم جَميعًا. ولقد انزَعَجَ لأنّكُم عَلِمتُم بمَرضِهِ، 27 وقد مَرِضَ فِعلاً مَرَضًا

---

[٩] فرضت التوراة على بني يعقوب تقديم الأضاحي لله، وقرابين من الماء والشّراب تكريمًا له تعالى. ويقول بولس هنا إنّ مضطهديه سيقتلونه بسبب إيمانه بسيّدنا المسيح (سلامه علينا)، وستكون حياته بمثابة شراب مسكوب فوق قربان طاعتهم وصلاحهم.

[١] كان إرسال الأخبار في ذلك العصر صعبًا جدًّا، لأنه يستوجب رسولاً وكان هذا الأمر محفوفًا بالمخاطر في غالب الأحيان. لذلك فضّل بولس الانتظار حتّى يتمكّن من إرسال معلومات تتعلّق بنتيجة محاكمته.

[٢] من المحتمل أن بولس تمكّن من الذهاب إلى فيليبّي بعد إطلاق سراحه من إقامته الجبرية في روما، لأنه ذكر حقيقة عودته إلى مقاطعة مقدونيا في رسالة وجّهها بعد ذلك إلى الأخ تيموتاوي (انظر الرسالة الأولى إلى تيموتاوي 1: 3)

[٣] اسم زهرائي هو تعريب للاسم اليوناني Epaphroditus. وهو يعني "محبّ الإلهة أفروديت" وتدعى أيضا "فينوس"، و"الزهراء" باللّغة العربية، لكنه يختلف عن الأخ زُهري المذكور في رسالة كولوسي ورسالة فليمون.

شَديدًا أوشَكَ فيهِ على المَوتِ، واللهُ لم يُشفِقْ عليهِ وَحدَهُ، بل أشفَقَ عليّ أنا أيضًا، لِكَي لا يَزيدَني حُزنًا على حُزنٍ، [28] وهذا ما جَعَلَني أُعَجِّلُ في عَودتِهِ إليكُم، فإذا أبصَرتُموهُ فَرِحتُم كَثيرًا، وقَلَّ هَمّي. [29] فاستَقبِلوهُ بفَرَحٍ وسُرورٍ، كَما يَليقُ بشَهامةِ أتباعِ سَيّدِنا المَسيحِ، واكرِموا أمثالَهُ،(٤) [30] لأنّهُ خاطَرَ بِحَياتِهِ مِن أجلِ سَيّدِنا المَسيحِ ليُساعِدَني، وعَرَّضَ نَفسَهُ للمَوتِ في تَقديمِ المُساعَدَةِ نيابةً عنكُم لأنّكُم عَجَزتُم عن ذلِكَ بسَبَبِ بُعدِكُم.

3

الفصل الثّالث

أساس القبول عند الله

[1] وبَعدُ، يا إخوتي، افرَحوا لإيمانِكُم بسَيّدِنا المَسيحِ، وها أنا أُكَرِّرُ لكُم التَّحذيرَ الّذي وَضَّحتُهُ سابِقًا، ولن أَمَلَّ مِن ذلِكَ، لأنّ هذا التَّحذيرَ يَحميكُم مِن الضَّلالِ. [2] فاحذَروا المَلاعينَ، مُرتَكبي السُّوء، دُعاةَ تَشويهِ الجِسمِ،(٥) [3] لأنّنا نَحنُ أهلُ الخِتانِ الحَقّ، ونَحنُ نَتَعَبَّدُ اللهَ بِهَدي رُوحِهِ تَعالى، ونَفتَخِرُ بِالسَّيّدِ المَسيحِ، ولا نُعَوِّلُ على امتِيازاتٍ بَشَريةٍ،(٦) [4] فإن خَطَرَ على بالِ أحَدٍ أن

---

(٤) كان بولس يحرص في ثنائه على زهرائي بسبب مرضه الخطير الذي منعه في غالب الأحيان من مساعدة بولس، وقد عيّنه أهل فيليبّي من أجل هذا الغرض. ولأن فيليبّي كانت مستعمرة رومانية، فربّما تأثّر المؤمنون هناك بفكرة الرومان السلبية عن الشخص الذي يفشل في المهمّة التي توكل إليه، فيجلب لنفسه الخزي مهما كانت ظروف فشله. لذلك يطلب بولس من أهل فيليبّي تكريم زهرائي لأنه خاطر بحياته في سبيل خدمته عوضًا عنهم.

(٥) إنّ خصوم بولس المذكورين هنا يشبهون الدُّعاة الدّجّالين الذين صادفهم في غلاطية، وكانوا يحاولون إقناع غير اليهود بضرورة الختان كشرط لمرضاة الله. ولكن لم يكن واضحًا أنّ هؤلاء جاؤوا فعلاً إلى فيليبّي، أم أنّ بولس يحذّر هنا من خطر قدومهم فقط؟ ويرى أنّهم حرّفوا معنى الختان حتّى غدا مجرَّد عمليّة تشويه للجسد لا جدوى منها.

(٦) يقول الحواريّ بولس إنّ حلول روح الله، علامة للإشارة إلى قومه الحقيقيّ، وهو الختان الحقّ. لقد كان اليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار اعتمادا على ميزات بشريّة، أي على شجرة النّسب وانحدارهم من نسل النّبي إبراهيم عليه السلام، ولكن بولس يؤكّد أنّ هذا السّند لا قيمة له. واعتقد معظم اليهود أنّ لا حضور فاعل لروح الله في زمنهم، أمّا بولس فقد أشار إلى حضور روح الله بين أتباع سيّدنا عيسى (سلامه علينا) وكيف كانوا منقادين بروحه دليلاً قويًّا

يُعَوّلَ على ما يَنتَسِبُ إليهِ، فأنا أحَقُّ بِذلِكَ مِن كُلِّ النّاسِ،[٧] [5] فقد خُتِنتُ في اليَومِ الثّامِنِ بَعدَ وِلادَتي، وأنا أنتَمي إلى بَني يَعقوبَ، ومِن قَبيلَةِ بِنيَمينَ تَحديدًا، فأنا عِبرانيٌّ صَميمٌ إذن، وكُنتُ أنتَمي إلى طائِفَةِ المُتَشَدِّدينَ، وهي أكثَرُ الطوائفِ تَعَصُّبًا لِلدّينِ اليَهوديّ، [6] وبِسَبَبِ حَماسي الشَّديدِ كُنتُ أضطَهِدُ جَماعةَ المؤمنينَ بسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ. فإن يَكُنِ رِضوانُ اللهِ بِالتِزامِ الإنسانِ شَرعَ اليَهودِ، فقد كُنتُ إذن، خاليًا مِن أيِّ نَقص.

[7] وقَديمًا اعتَقَدتُ أنّ هذا يُحسَبُ لفائدَتي، غَيرَ أنَّني بمُجَرَّدِ إيماني بِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ رَأيتُ أنّ ذلِكَ خُسرانٌ، إنِ اكتَفَيتُ بِهِ وَحدَهُ،[٨] [8] وأنا على يَقينٍ أنّ هذا كُلَّهُ لا يُساوي شَيئًا مُقارنةً بالكَنزِ العَظيمِ، ألا وهو مَعرِفةُ مَولايَ عيسى المَسيحِ! وأنا مِن أجلِهِ ألقَيتُ بكُلِّ الأشياءِ، وهي في ناظِريّ مُجَرَّدُ كُناسةٍ، [9] وذلِكَ حَتّى أحظى بِقُربِهِ (سلامُهُ علينا)، فلَستُ مَرضيًا عِند اللهِ على أساسِ انتِمائي إلى أهلِ التَّوراةِ، بل على أساسِ ثِقَتي بِسَيِّدِنا المَسيحِ، لأنّ اللهَ رَضِيَ عنّي بِناءً على يَقيني وثِقَتي في السَّيِّدِ المَسيحِ. [10] وغايتي أن أعرِفَهُ (سلامُهُ علينا) وأختَبِرَ قوَّةَ قيامتِهِ وأُشارِكَهُ في آلامِهِ وأقتَدي بِنُبُلِ مَوتِهِ، [11] على أمَلي أن أُبعَثَ حَيًّا مِن بَينِ الأمواتِ بِرَحمتِهِ تَعالى.[٩]

على أنّ سيّدنا عيسى هو المسيح الموعود حقًّا.

[٧] يبرهن الحَواري بولس هنا أنّه لا يتساوى فقط مع الذين يحثّون على التزامِ العادات اليهوديّة وتقاليدهم، وإنّما يتفوّق عليهم في كلّ ما يفتخرون به. فإذا استحقّ أحد الثّناء على أساسِ أصلِهِ الشّريف، أو دراساته الكثيرة، أو حياته الفاضلة، فنصيب بولس من هذه الأشياء سيفوقهم جميعا.

[٨] يتحدّث بولس عن الخطى التي اتّبعها مقتديًا بالسيّد المسيح (سلامه علينا)، الذي تخلّى عن مقامه وامتيازاته ومرتبته الرّفيعة في سبيل طاعته لله. وكان بنو يعقوب يفتخرون بأصلهم الشّريف الذي اعتبروه دلالة على أنهم شعب الله المختار. ولكن بولس يقول إنّه شريك في هذا الأمر أيضًا، وكان متحمّسًا كثيرًا للتوراة، غير أنه بعد تجلّي سيّدنا المسيح (سلامه علينا) رئيسًا يملكًا لأُمّة الله، تبيّن له أنّ سبيله القديم في تعبيره عن إخلاصه لله خاطئ. إنّ المنتمون لأُمّة الله حقًّا هم مخلصون للملك، أمّا مسألة الأصل والتقاليد فلا قيمة لها.

[٩] سار بولس على خطى السيد المسيح، فتحمّل أشكالاً من المعاناة، وهو على يقين أنه سيفوز بالمجد يوم بعثه، شأن مولانا المسيح (سلامه علينا). وفي ذلك الزمن اعتقد عدد كبير من اليهود أن القيامة ستأتي بعد فترة من المعاناة.

السّعي إلى الهدف

12 ولا أدَّعي أنّي فُزتُ بتِلكَ الامتِيازاتِ أو بَلَغتُ دَرَجةَ الواصِلينَ إلى اللهِ، بل إنّي أواظِبُ في سَعيي إلى التَّمَسُّكِ بالكَمالِ الّذي مِن أجلِهِ تَمَسَّكَ بي سَيِّدُنا عيسى المَسيحُ. 13 أحِبّائي، لا شَكَّ أنّي لم أفُزْ بَعدُ، ولكِنّ أمرًا واحِدًا يَعنيني، أن أترُكَ ما وَرائي وأبذُلَ كُلَّ جُهدي في سَبيلِ التَّقَدُّمِ إلى الأمامِ. 14 إنّ مَثَلَ شَوقي إلى نَعيمِ اللهِ كمَثَلِ مَن يَعدو في سِباقٍ فلا يُبصِرُ غَيرَ هَدَفِهِ. وهذِهِ هي دَعوةُ اللهِ السَّماويّةُ الّتي وَجَّهَها إلينا بِواسِطةِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ.(١)

15 وعلى الرّاشِدينَ في الإيمانِ مِنّا أن يَتَّفِقوا على هذا الهَدَفِ العَظيمِ. حَتّى لو حَصَلَ بَينَكُم اختِلافٌ في بَعضِ الأُمورِ، فإنّ اللهَ يُنيرُ لكُم ما اختَلَفتُم حَولَهُ. 16 فأطيعوا رِسالةَ اللهِ بِقَدرِ فَهمِكُم لها.

17 إخوتي في اللهِ، اِقتَدوا بي، وسِيروا على مِنوالِ سَبيلِنا نَحنُ الحَواريّينَ، 18 ولقد أعلَمتُكُم مِرارًا، وها أنا أُكَرِّرُ ذلِكَ مَرّةً أُخرى ودُموعي تَنهمِرُ، أنّ الّذينَ يَسلُكونَ سَبيلَ العِداءِ لِتَضحيةِ سَيِّدِنا عيسى على الصَّليبِ عَدَدُهُم كَبيرٌ، 19 وهؤُلاءِ مَصيرُهُم الهَلاكُ، لأنّهُم يَعبُدونَ شَهَواتَ بُطونِهِم، ويَفتَخِرونَ بِكُلِّ ما نَستَحي مِنهُ، إنّهُم مُنشَغِلونَ بِأُمورِ حَياةِ الدُّنيا. 20 أمّا نَحنُ فمِن أهلِ السَّماءِ، ومِنها نَنتَظِرُ بِشَوقٍ عَظيمٍ مُنَجّيَنا سَيِّدَنا عيسى المَسيحَ(٢) 21 الّذي سيُحَوِّلُ أجسامَنا الدُّنيَويّةَ الوَضيعةَ إلى أجسامٍ مِثلَ جِسمِهِ المَجيدِ، بِقوةٍ يَجعَلُ بِها كُلَّ شَيءٍ تَحتَ أمرِهِ الشَّديدِ.

---

(١) يقارن بولس نفسه بعدّاء رياضي، حيث يحصل الفائز على إكليل من أوراق الغار وقد يحصل في بعض الأحيان على جائزة مالية.

(٢) لم يحصل إلاّ عدد قليل من النّاس في الإمبراطورية الرّومانيّة على امتياز المواطنة، في حين يؤكّد بولس أنّ كل من ينتمي إلى المملكة الربّانيّة تحت سلطان سيّدنا عيسى المسيح يجلب لنفسه احترامًا أكثر.

4

الفصل الرّابع

وصايا أخيرة

[1] إخوتي الأعِزّاءَ، إنّي مُشتاقٌ إليكُم كَثيرًا، وإنّكُم فَرَحي وتاجُ رأسي، فاعتَصِموا يا أحِبّائي بِالسَّيّدِ المَسيحِ.

[2] وأُناشِدُ سالِمةَ وسَعيدةَ أن تَكونا على وِفاقٍ، لأنّهُما تؤمنانِ بِسَيِّدِنا (سلامُهُ علينا). [3] يا أخي رَفيقُ، وأنتَ دونَ شَكٍّ الرَّفيقُ المُخلِصُ،[٣] أطلُبُ مِنك أن تُساعِدَ الأختَينِ سالِمة وسَعيدة، لأنّهُما جاهَدَتا مَعي في الدَّعوةِ إلى البُشرى بِهِ (سلامُهُ علينا)، إضافةً إلى أخي كليمنْت وكُلِّ الدُّعاةِ، الّذينَ أعانوني وأسماؤُهُم سُجِلَت في سِجِلِّ الخالِدينَ.

[4] يا أحبابي، افرَحوا دائِمًا، نعم افرَحوا، لأنّكُم تَنتَمونَ إلى جَماعةِ سَيِّدِنا المَسيحِ، [5] ولا تُلِحّوا على النّاسِ في أخذِ حُقوقِكُم، لأنّ سَيِّدَنا عيسى سيَتَجَلّى قَريبًا بالإنصافِ. [6] ولا تَجعَلوا هُمومَ الحَياةِ تُلازِمُكُم أبَدًا، بَل تَوَجّهوا بالدُّعاءِ والابتِهالِ والحَمدِ إلى اللهِ في كُلِّ ما تَحتاجونَ إليهِ، [7] وسَلامُ اللهِ الّذي يَعجِزُ البَشَرُ عن إدراكِهِ، يَحرُسُ قُلوبَكُم وعُقولَكُم لأنّكُم راسِخونَ في الإيمانِ بِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

[8] وأخيرًا يا إخوتي، تأمَّلوا في كُلِّ حَقٍّ شَريفٍ، واذكُروا ما هو صالِحٌ طاهِرٌ، وكُلُّ ما نُحِبُّ ونُقَدِّرُ، وانظُروا في كُلِّ طيّبٍ مَحمودٍ، [9] واعمَلوا بِما عَلِّمتُكُم، وحافِظوا على كُلِّ ما سَمِعتُموهُ وأبصَرتُموهُ مِنّي، وسيَكونُ اللهُ السَّلامُ مَعَكُم خَيرَ حافِظٍ!

---

[٣] استخدم الكتّاب الإغريق الكلمة اليونانية (syzygos) للتّعبير عن ارتباط وثيق مثل ارتباط الزّواج أو العمل. ويرى بعض المفسّرين أنّ بولس يشير هنا إلى رفيق له في الدّعوة، بينما يرى آخرون أنّ هذه الكلمة هي الاسم الشّخصي للرّجل الذي خاطبه بولس.

شكر بولس

10 إنّي سَعيدٌ وأتوَجّهُ بالشُّكرِ لِسَيِّدِنا عيسى، لأنّي أخيرًا رَأيتُ أنّكُم عُدتُم
للاهتِمامِ بي. ها إنّكُم تُرسِلونَ المُساعَدةَ مَعَ الأخِ زَهرائي، ولا أعني أنّكُم
أهمَلتُموني سابِقًا، ولكِن الفُرصةُ لم تَسنَح لكُم كَي تُعَبِّروا عنِ اهتِمامِكُم بي،
11 ولا أعني أنّي أحتاجُ إلى ما تَجودونَ بِهِ عَليّ، فقد تَعَلَّمتُ أن أكونَ قَنوعًا
مَهما كانَت الظُّروف، 12 وإنّي قادِرٌ على العَيشِ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ، وقد
أدرَكتُ هذا السِّرَ: أن أكونَ مِن القانِعينَ في كُلِّ الأحوالِ، فقد اختَبَرتُ الشَّبَعَ
والجوعَ، والفَرَجَ والضّيقَ، 13 وإنّي لقادِرٌ على تَحَمُّلِ كُلِّ حالٍ بِمَعونةِ السَّيِّدِ
المَسيحِ لأنّهُ يُقَوّيني.(٤)
14 وخَيرًا فَعَلتُم، عِندَما ساهَمتُم في تَقليلِ مَتاعِبي. 15-16 يا أحبابي في
فيليبّي، إنّكُم تُدرِكونَ جَيّدًا أنّكُم ساعَدتُموني مُنذُ الأيّامِ الأُولى الّتي آمَنتُم فيها
بِالسَّيِّدِ المَسيحِ، حَتّى عِندَما كُنتُ مُحتاجًا في مَدينةِ تَسالونكي، ساعَدتُموني
مَرّات ومَرّات، وعِندَما تَرَكتُكُم في مَقدونيا وقَصَدتُ مَناطِق أُخرى في
اليُونانِ لِنَشرِ الدَّعوة، لم تَصِلني مَعونةٌ مِن أجلِ عَمَلي الرُّوحانيّ إلاّ مِن
جَماعتِكُم. 17 وأنا أذكُرُ هذا، لَيسَ رَغبةً مِنّي في هَداياكُم، بل أطلُبُ مِن اللهِ
أن يُجازيكُم على سَخائِكُم، 18 فأنا الآنَ أنعَمُ في خَيرٍ وَفيرٍ، وأملِكُ ما يَتَجاوَزُ
حاجَتي، لأنّي استَلَمتُ الهَدايا الّتي أحضَرَها إليّ الأخُ زَهرائي، وعَطاياكُم
هي بِمَثابةِ قُربانٍ رائِحتُهُ ذَكيّةٌ ويُرضي الله. 19 وكَما كَفاني اللهُ ما أحتاجُ
إليهِ، سيَكفيكُم أيضًا كُلُّ ما تَحتاجونَ إليهِ بِفَضلِهِ وغِناهُ المَجيدِ بِواسِطةِ سَيِّدِنا
عيسى المَسيحِ، 20 فَالحَمدُ للهِ أبينا الرَّحمنِ الرَّحيمِ الآنَ وإلى أبَدِ الآبِدينَ.
آمينَ.

---

(٤) رفض بولس باعتباره داعية للسيد المسيح (سلامه علينا) الاشتغال تحت رعاية أيّ أحد من المؤمنين، بل سعى إلى جعل المؤمنين تحت رعايته. ولتحقيق رغبته هذه، اعتمد غالبًا على نفسه في كسب معاشه من صناعة الخيام، وتحمَّل مصاعب كثيرة من أجل ذلك، وهكذا أثبت حقيقة رسالة السيد المسيح (سلامه علينا). مع العلم أنّه كان يقبل بعض المساعدات التي تصله من جماعات المؤمنين عندما كان بعيدًا عنهم كي لا يظنّ أحد أنها مكافأة لعمله الروحاني بينهم، بل هي هدية لدعم الجماعات التي عمل معها.

تحيّات ختاميّة

[21] سَلِّموا على كُلِّ عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ، أتباعِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ، ويُسَلِّمُ عليكُم جَميعُ المؤمنينَ مَعي [22] ولاسِيَّما الَّذينَ هُم مِن حاشيةِ القَيصرِ. [23] فليَكُن فَضلُ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ مَعَكُم أجمَعينَ. آمينَ.